الدراسات القرآنية المعاصرة
السنة الثالثة، العدد العاشر، الشتاء ١٤٤٦هـ
الصفحات: ١٦٨ـ ١٩٣

جامعة المصطفى العالمية
Al-Mustafa International University
مجمع القرآن والحديث

The Foundations of the Qur'anic Society: The Principle of Righteous Leadership as a Model *

Tahir Al-Gharbawi [1]

Abstract

It is firmly established through solid evidence that human beings are inherently social by nature and inclined toward communal life. This is evident in their integrative nature and continuous development, which can only be achieved within the framework of a group or society. The Qur'an affirms, through numerous verses, that humans are social beings by nature. Among these verses are those that highlight the creation of humankind from male and female, their mutual need for one another in marriage, the formation of families, and, consequently, the expansion and establishment of human society. Additionally, the Qur'an underscores human sociability by illustrating how people depend on one another to fulfill their needs, thereby emphasizing the interconnectedness among individuals for facilitating life's affairs. The Qur'an not only focuses on the spiritual, intellectual, and behavioral development of the individual but also emphasizes the construction of a sound and virtuous society. To achieve this, the Qur'an provides a set of guiding principles that establish a morally upright and value-driven human community. These principles constitute what can be termed the Qur'anic framework for social discourse. Using a descriptive-analytical approach, this article identifies and explores the fundamental principles outlined in the Qur'an for building a healthy society. Among the most important of these principles are: honoring contracts and covenants, adhering to agreements, fulfilling trusts, promoting honesty, fostering a culture of mutual trust, cooperating in righteousness and piety, enjoining truth and patience, and safeguarding people's rights and dignity. A key pillar of a righteous society is its reliance on religion and the governance of divine teachings, a concept explicitly affirmed in Surah Al-Baqarah, verse 213, which is discussed in detail in this article. Another essential principle for building a sound society is leadership through competent governance—a concept whose characteristics are defined in the Qur'an, as well as in the sayings and practices of the divinely guided figures (Ahl al-Bayt, peace be upon them). This article dedicates its final section to an in-depth discussion of this principle, emphasizing it as the central theme of the study.

Keywords: Foundations, Governance, Sound Society, Righteous Community, Qur'anic Social Discourse

*. **Date of receiving:** 5 January 2025, **Date of approval:** 10 March 2025.

1. Assistant Professor, Al-Mustafa International University, Department of Exegesis and Qur`anic Sciences.
Email:tahhergha@gmail.com

جامعة المصطفى العالمية
Al-Mustafa International University
مجمع القرآن والحديث

الدراسات القرآنية المعاصرة
السنة الثالثة، العدد العاشر، الشتاء ١٤٤٦هـ

أُسس المجتمع القرآني: أصل القيادة الصالحة إنموذجاً *

CC BY

طاهر الغرباوي[١]

الملخص

من الواضح الثابت بالأدلة الرصينة أنَّ الإنسان مدني الطبع واجتماعي الانتماء، ويدل على ذلك طبيعة الانسان التكاملية وحالة تطوره المستمر وذلك لا يتحقق إلا في ضمن الجماعة والاجتماع. إوالقرآن يُثبت عبر آيات عديدة أن الانسان اجتماعي الانتماء ومدني الطبع، ومن تلك الآيات، الآيات الدالة على خلق الانسان من ذكر وأنثى وحاجة كل واحد منهما إلى الآخر ليتزاوجا وتكون منهما ذرية وتكوين أسرة وعلى اثر ذلك يتكاثر المجتمع البشري ويتكون المجتمع. كذلك يدل القرآن على اجتماعية الانسان من خلال بيان أن الانسان يُسخِّر بعضه بعضاً أي يستخدمه ليقضي به حوائجه وهذا يدل على العلاقة بين أفراد بني البشر لتيسير الأمور. وقد اهتم القرآن الكريم ببناء الفرد عقائدياً وفكرياً وسلوكياً، اهتم أيضاً ببناء المجتمع من عدة نواحي، فأنزل في كتابه العزيزالآيات التي تؤسس لبناء مجتمع انساني سليم تحكمه الفضائل والقَيم. وهذه الآيات هي منظومة الخطابات الاجتماعية في القرآن الكريم. وقد توصلت المقالة ومن خلال استخدام المنهج التحليلي الوصفي أن الأصول والأُسس التي ذكرها القرآن الكريم لبناء المجتمع السليم كثيرة، وأهمها: الوفاء بالعقود والعهود والالتزام بالمواثيق، أداء الأمانات، انتشار الصدق، انتشار ثقافة الثقة المتبادلة، التعاون على البر والتقوى، التواصي بالحق والصبر، حفظ حرمة الناس في حقوقهم، وأمثال ذلك من أُسس. ومن أهم أصول المجتمع الصالح هي حاجته إلى الدين وحاكمية التعاليم الوحانية فيه، دلَّ على ذلك بوضوح الآية ٢١٣ من سورة البقرة وقد بحثت بتفصيل في هذه المقالة والأصل الآخر الأساسي في بناء المجتمع السليم هو: قيادة المجتمع بواسطة الإدارة الكفوءة، وهي الادارة التي ذكرت مواصفاتها من خلال القرآن ا وكلام وسيرة الحجج الالهيين عليهم صلوات الله أجمعين. وقد بحثت بالتفصيل من خلال المقطع الأخير من المقالة، وقد ركزت المقالة على هذا الأصل واعتبرته هو الأصل المركزي في دراستها

الكلمات الرئيسة: الأُسس، الإدارة، المجتمع السليم، الجماعة الصالحة، الخطابات القرآنية الاجتماعية.

---

*. * **تاريخ الاستلام:** ٣٠ جمادى الثانى ١٤٤٦؛ **تاريخ القبول:** ١٥ رمضان ١٤٤٦

١. استاذ مساعد في جامعة المصطفى العالمية. قسم التفسير وعلوم القرآن Email:tahhergha@gmail.ir

المقدمة

القرآن الكريم هو كتاب الهداية الالهية المذي امتن الله به على البشـرية، حيث أنزله على نبيه الخاتم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه، وقد امر الله باتباعه والعمل به، لأنه فيه الحياة الحقيقية، قال الله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } (الأنفال /٢٤).

ومن خلال تعاليم القرآن الكريم أراد الله سبحانه وتعالى أن يبني الانسان أفراداً وجماعات بناء سليماً صالحاً. ومن هنا فإن الخطابات القرآنية بعضها موجّه إلى الفرد وبعضها قد تمَّ توجيهه إلى الجماعة وهي الخطابات الاجتماعية في القرآن الكريم. ومن مجموع الخطابات الجماعية في القرآن الكريم بالامكان الحصول على معالم المجتمع الانساني السليم الذي أراده الله سبحانه وتعالى للجماعة الانسانية.

ومن مجموع هذه الآيات تتكون منظومة تؤمن لنظام اجتماعي سليم يُستخرج من خلالها أصول وأسس بناء المجتمع المنشود الذي أراده الله تعالى للناس أجمعين، حتى يعيش الانسان الفرد ضمن مجتمع صالح ينمو فيه.

والأصول التي يبتني عليه المجتمع الانساني السليم كثيرة، قد أشار إليها القرآن الكريم واكتشفه العقل البرهاني والفطري السليم. وهذه الأصول التي هي دعائم المجتمع هي بنفس الوقت تؤمن منظومة الآداب الاجتماعية في الاسلام، ومن شواهدها: حاكمية الدين والحاجة إليه، انتشار ثقافة القيَم والفضائل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الوفاء والالتزام بالعقود والعهود والمواثيق، التعاون على البر والتقوى، العلاقات العائلية المقدسة كبر الوالدين وصلة الأرحام، أداء الأمانات إلى أهلها، انتشار الصدق،وحاكيمة ثقافة الثقة المتبادلة، التواصي بالحق والتواصي بالصبر، حرمة الانسان في دمه وعرضه و ماله، قيادة المجتمع وادارته بواسطة الصالحين والمؤهلين للقيادة الكفوءة، وأمثال ذلك من قيَم تعتبر من أصول وأسس بناء مجتمع انساني صالح أراده الله.

ومن خلال هذه المقالة، سنناقش إن شاء الله تعالى هذه القضايا على ضوء آيات كتاب الله العزيز وسيرة الحجج الالهيين محمد النبي المصطفى وعترته الطاهرة أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

خلفية البحث

الكتابة في معالم المجتمع الانساني من وجهة نظر القرآن الكريم كثيرة ومترامية الأطراف، سواء في كتب التفسير الموضوعي بشكل عام أو كتب ومصادر في دراسة الاجتماع الانساني في القرآن على وجه التحديد، أوالمقالات العلمية التخصصية والمُحكمة في المجلات المعتبرة والرصينة. وقد اشتهر في مباحث المناهج والاتجاهات التفسيرية الاتجاه الاجتماعي في التفسير القرآني. ومصاديق تفسير القرآن الكريم بالاتجاه الاجتماعي كثيرة وكلها تُعتبر من الدراسات السابقة وبتعبير آخر خلفيات لموضوع هذه المقالة، ونشير إلى بعضها بالنحو التالي:

الأول: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم تحت عنوان" مفاهيم القرآن" لمؤلفه الشيخ جعفر السبحاني، وقد بحث من خلاله الآيات المرتبطة بالجانب الاجتماع في منظومة الآيات القرآنية.

الثاني: التفسير الموضوعي المعنون ب " نفحات القرآن " لكاتبه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وقد بحث فيه الآيات ذات الطابع الاجتماعي.

الثالث: كتاب المدرسة القرآنية للسيد الشهيد محمد باقر الصدر والذي طرح فيه بحثاً مهما تحت عنوان عناصر المجتمع في القرآن الكريم" منطلقاً من تفسير الآية ٣٠ من سورة البقرة حيث قال الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة/ ٣٠) فاستخرج من الآية نظرية الاستخلاف ومنها انطلق وأسس لبحث عناصر المجتمع في القرآن الكريم. وهذا المصدر يعتبر من المصادر الاساسية والمهمة في موضوع الاجتماع البشري من وجهة نظر القرآن الكريم لا سيما أصول وأسس المجتمع الانساني الصالح.

الرابع: تفسير المنار للشيخ عبده ومحمد رشيد رضا، والمعروف عن هذا التفسير أنه كتب بالاتجاه الاجتماعي.

الخامس: تفسير " من وحي القرآن " للسيد محمد حسين فضل الله، والاتجاه والاهتمام الاجتماعي ملحوظ فيه.

السادس: التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي، وهذا التفسير كسوابقه لونه واهتمامه هو الجانب الاجتماعي.

السابع: ما كتبه الباحث محمد عفت الشرقاوي أمثال: الفكر الديني مواجهة العصر وفلسفة الحضارة الاسلامية.

الثامن: بحث في مجله پژوهش نامه معارف قرآنی، (باللغة الفارسة) حول السنن الاجتماعية فی القرآن. للباحث سيد حسين فخر زارع، للعدد السادس عشر للدورة الخامسة لسنة ١٣٩٣ هجرية شمسية.

التاسع: مقالة تحت عنوان : " تأثير القرآن على العلاقات الاجتماعية للباحث محمدجواد نجفی، وذلك في مجلة الدراسات التفسيرية (باللغة الفارسة) في العدد ٢٩ لسنة ١٣٩٦ هجرية شمسية.

العاشر: دراسة تحت عنوان " المجتمع الانساني في القرآن الكريم " للسيد الشهيد محمد باقر الحكيم في مجلة رسالة التقريب العدد ٢٢.

الحادي عشر: كتاب بعنوان " ثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم" لمؤلفه الدكتور عبد القدُّوس بن أسامة السَّامرائي، وهو كتاب صادر عن إدارة البحوث التابعة لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بإمارة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة.

الثاني عشر: مقالة تحت عنوان " المجتمع وأصالته الفلسفية في القرآن الكريم" للباحث السيد عليرضا واسعي في مجلة دراسات قرآنية للعدد الرابع سنة ١٣٩٥ هجرية شمسية.

٢ . مفردات الدراسة

الاولى: الأسس في المفهوم اللغوي والاصطلاحي

الأساس أصل الشّيء ومبدؤه، ومن هنا قالوا: أساس الإنسان الطِّين، والعائلة أساس المجتمع البشريّ وخليّته الأولى، وقال ابن منظور في موسوعته لسان العرب: الأُسّ والأَسس والأَساس: كل مُبْتَدَإٍ شيءٍ. والأُسّ والأَساس: أَصل البناء، والأَسُس مقصور منه، وجمع الأُسّ إساس مثل عُسّ وعِساس، وجمع الأَساس أُسس مثل قَذال . (ابن منظور، لسان العرب ، ١٤٤٢)

والمحصل: فالأسس لغة ما يبتنى عليه الشيء بالجملة ، وهذا يصدق على الامور المعنوية ، فهي في كل شيء بحسبه (٥) ، ومنه قوله تعالى : {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى} {التوبة : ١٠٨} ، وقوله تعالى : {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} (التوبة /١٠٩) وفي هاتين الآيتين شاهد على صدق الاساس على الامر الحسي والامر المعنوي ، فالبناء على التقوى معنوي والمشبه به وهو البناء على جرف هار امر حسي وفي كلا الحالتين يعتمد عليه البناء اذ على قدر الاساس يكون البناء (ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية ٤٩/١) وهو متقدم عليه زمنا ورتبة ، ولذا يقال الاساس اولا ثم البناء.

وأما المفهوم الاصطلاحي للأُسس

قلّما يذكرون تعريفا اصطلاحياً للأسس، ولعل مرجع ذلك يعود للإكتفاء بالمعنى الدلالي اللغوي ، والذي يطابق المعنى الاصطلاحي في بعض الأحيان ، والأجدر أن تُبحث هذه المفردة اصطلاحاً؛ لأن المعنى اللغوي عام وان الاكفاء بالمعنى العام انتج التداخل في الدلالة بين الاسس وبين مصطلحي القواعد والاصول الذين استهلكا في علوم الشريعة من شدة الابتذال ، فوقع الخلط في الدلالة لدى الاستعمال. (عدي الحجار، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، ٢٠١٤)

والاساس اصطلاحاً فهو الارضية التي تبتنى عليها القواعد ، واطلاقه شامل للأمور الحسية والمعنوية ، كما في بيان المعنى اللغوي ، والاساس منه التعريف اذ المعنوية ؛لأنه يعني عليها بعد تقييده بما يتركب منه التعريف ، اذ هو الارضية المعرفية التي تبتنى عليها حركة الفكر او المنظومة الفكرية التي تهجف للوصول الى نتائج حقيقة ، او النتيجة القصوى من حيث ملامسة الحقيقة او مقاربتها. (المصدر نفسه)

والحاجة الى الاساس ضرورة ، سواء في الامور المعنوية والحسية ، اذ أنهما عبارة عن بناء ولا شك أن (علو البنيان على قدر توثيق الاساس واحكامه و متى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان واعتلى عليه ، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه ، واذا كان الاساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت ، واذا تهدم شيء من الاساس رصين سقط البنيان او كاد (ابن قيم الجوزية - الفوائد : ١٥٦/١.) وكذا كل منظومة فكرية ما لم تبنن على اساس رصين تهاوت او كادت ، فأساس كل شيء فكرة ، اساسها الخبرة العلمية والعملية. (مصطفى نجار، ١٧/١)

والمحصل بعد هذا التمهيد: إن أُسس المجتمع هي الأصول والقواعد التي يبتني عليها المجتمع، فإذا كانت تلك الأسس متينة ورصينة كان المجتمع متماسكاً ومستحكماً. وصوابية الأسس الاجتماعية تُفهم من حكم العقل السليم الذي جعله الله تعالى رسولاً وحجة باطنية، وكذلك تؤخذ الأسس السلمية من تعاليم الشرائع السماوية التي هي انعكاس لعلم الله تعالى، والعلم الالهي هو الحق المطلق.

وانطلاقاً من تعاليم القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على ىسيد أنبياءه وخاتمهم، وبمقتضى اكتشاف العقل السليم والبرهاني الفطري فإن أسس الاجتماع السليم التني يبتني عليها هي كل حسن ومعروف في قبال كل قبيح ومستنكر. ومصاديق الحسن والمعروف كثيرة، أمثال: حاكمية الفضائل والقيَم، الوحدة ونبذ الاختلاف والتشرذم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التعاون على البر

والتقوى، التواصي بالحق والتواصي بالصبر، الصدق الاجتماعي وانتشار الثقة المتبادلة، الالتزام بالعهود والعقود والمواثيق، حب الخير للآخرين.

الثانية: الادارة مفهومها اللغوي وباصطلاح علم الادارة

الإدارة (وزان إفعالة) من الدور والدوران بمعنى الطواف حول الشيء أو التحرّك من شيء والعود ثانياً إليه، يقال: دار الشيء يدور دوراً ودوراناً، إذا طاف حول الشيء أو تحرّك وعاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه. (الفيومي، المصباح المنير، ٢٠٢٠) وكذلك من معاني الإدارة: لفّ الشيء حول نفسه كالدائرة التي يرجع آخرها من حيث بدأ أوّلها، يقال: أدار العمامة حول رأسه أي لفّها حوله. (الأزهري،٢٠٠١، تهذيب اللغة)

وتأتي الإدارة بمعنى تمشية أمر الشيء كإدارة التجارة بمعنى تعاطيها وتداولها، وإدارة الرأي بمعنى إجالته. (المصدر السابق)

وبناءً على هذه التقارير اللغوية، فإن الإدارة هي تنظيم أجزاء المركب بتحريكها حول المجموعة، وايجاد كل جزء منه في محله المناسب له، فهي إفعالة بمعن إطافة أجزاء المجموعة المحددة و تنسيق أفرادها ليحصل الغرض الذي من أجله أريد للمجموعة أن تتواجد، ويمكن تخريخ الإدارة لغة بمعنى: أن الإدارة تأتي بمعنى طواف المعني بالمجموعة بالحضور في كل أجزاءها ومرافقها، فهي طواف وحضور مستمر في أجزاءها.

والإدارة في الاصطلاح

ومن منطلق المعنى اللغوي يتأتى المعنى الاصطلاحي في كل حقل بحسبه، والاصطلاح هو من الصلح والاتفاق أي أن أهل كل حقل من حقول المعرفة يتفقون بينهم وكأنهم يتصالحون على أن يجعلوا مفردة أو كلمة لمعنى من معاني ومحطات ذلك الحقل والاختصاص.

والادارة اصطلاحاً هي العملية التنظيمية التي تشمل في مضمونها عدة أمور، مثل: التخطيط الذي يشمل وضع الأهداف، بالإضافة لإدارة الموارد البشرية والمالية بهدف تحقيق الأهداف التي تم تحديدها في المقام الأول، ثم قياس النتائج، كما تشمل الإدارة أيضاً تخزين المعلومات الهامة لاستخدامها لاحقاً من قبل العاملين في المؤسسة، ولا تقتصر على المدير والمشرفين بل تمتد إلى كل عضو في المؤسسة، بحيث أن لكل منهم دور في إدارة قسم من مهام العمل كجزء من وظيفته. (٢٢٢٠.saunders.rit.edu, Retrieved)

وفي منظومة الفكر الديني الاسلامي فإن هناك مفردات ومفاهيم تأتي في فلك مفهوم الادارة، أمثال: القيادة، المسؤولية، الرئاسة، الإمامة، الرعاية،الرئادة ومفردات أخرى، وبما أن منظومة الاسلام هي منظومة القيم والمقدسات، فإن الادارة الاسلامية لها صبغة القدسية والاحترام، والمدير لا سيما المدير الاجتماعي أي المسؤول عن ادارة جماعة كبيرة من الناس، يجب أن يتصف بمواصفات ومؤهلات تؤهله بأن يكون في منصب القيادة والمسؤولية، وهذه المؤهلات أو بالأحرى اللياقات تنتج من صميم القيّم الاسلامية، والادارة هذه في مستواها الأعلي تكون للحجج الالهيين النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وخلفاءه الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام، وصفاتهم أو بالأحرى شرائطهم هي العلم والعصمة والنص على اسمه ومواصفات أخرى بُينت في علم الكلام من خلال مباحث الامامة، وهذا المنصب هو بتنصيب الهي وهو ما يعبر عنه بالنص، من باب الله أعلم حيث يجعل رسالته، وفي المراتب التي بعد النبوة والامامة كولاية الفقيه في زمن غيبة الامام المعصوم عليه السلام ومن يختارهم الفقيه الحاكم لادارة الامور يشترط أيضا في المدير الاسلامي خصائص لازمة مثل العلم والعدالة وفي الولي الفقيه القدرة على الادارة والتدبير والشجاعة والحكنة السياسية بما يناسب المسؤولية، حيث الفقيه الولي في زمن الغيبة له ما للإمام المعصوم عليه السلام (الامام الخميني، الحكومة الاسلامية، ١٤٢٥)

الثالثة: مفهوم المجتمع الصالح ومعالمه العامة

من الواضح أن مفردة المجتمع مشتقة من كلمة (جذر) جمع، وهي كلمة من ثلاثة حروف: الجيم والميم والعين، وهي أصل واحد يدل على تضام الشئ (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٤٠٥) وبناء عليه تقول: جمعت الشئ جمعاً. وذكر بعض اللغويين أن الجمع هو: جمع الشئ عن تفرقة يجمعه جمعاً، كما يأني جمع اسم جماعة والجميع الحي المجتمع (ابن منظور، لسان العرب، ١٤٤٥)

والمُجْتَمَع اسم مفعول واسم مذكر يُجمع جمعا مؤنثا سالما على مُجْتَمَعَات، واسم المفعول هذا ماخوذٌ من اجتمع، وقد يُقصد به المكان الذي اجتمع فيه الناس، ولكن المقصود به عند الاطلاق هو: مجموعة من الناس من طبقة اجتماعية واحدة تختلط ببعضها ولها ما يميزها عن غيرها من المجموعات البشرية. في علم الاجْتِمَاع : هو مجموعة الناس التي تعيش ضمن مكان ومنطقة واحدة تربط فيما بينهم علاقات اجتماعية تحدد قواعد يتبعونها في الحياة.

وفي الاصطلاح: فهنالك تعريفات كثيرة للمجتمع والمستحصل منها أن: المجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون سويا في حياة منظمة، وتربط بينهم مجموعة من الصلات والمبادئ والقيم

والأهداف والمصالح المشتركة (أمين نعمان الصلاحي، من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، بلا تاريخ)

والمجتمع كما الفرد يتصف بالصلاح والفساد، ولكن معايير الصلاح والفساد قد تختلف في المجتمع عن الفرد وإن كان الأصل واحداً. فمثلاً الايمان بالقيم والمبادئ وفعالية المعنويات والروحانيات والصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهود والعقود والالتزام بالمواثيق و احترام الآخر وحفظ حقوقه وأمثال ذلك من فضائل وقيَم، كما هي تعتبر أخلاق وسلوكيات فردية هي بنفس الوقت تُعد من معايير صلاح المجتمع وسلامته. والمجتمع وإن كان أجزاءه المكونة له هم الأفراد وسلوكيات الأفراد تنعكس على المجتمع وتؤثر فيه، ولكن مع ذلك فإن هناك أخلاقيات وآداب تُعتبر آداب اجتماعية ويعبر عنها بالأخلاق العامة.

٣ . القرآن واجتماعية الانسان

من الثابت بالدليل أن الانسان مدني الطبع والانتماء، فهو منحاز إلى الجماعة ومفتقر إليها ولا يمكنه أن يعيش بدونها، وهذا هو الذي تقتضيه طبيعة الانسان وتركيبته الخلقية. وذلك ينشأ من أن الله خلق بني البشر من ذكر وانثى وكلٌ من الجنسين يميل إلى صاحبه وينحاز إليه، وينتج من ذلك أن الانسان لا يستطيع أن يعيش لوحده ـ كما هو شأن الوحوش تعيش في جحورها لوحدها ـ وهذه الحاجة الفطرية وإن شئت سميتها الغريزية ترشده إلى العلاقة الاثنينية أي علاقة الزواج والتزويج، وهي بحد ذاتها آية من آيات الله تعالى، قال سبحانه: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِيطج ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } الروم ٢١) ثم يحصل من هذا التزاوج تناسل وذرية، قال الله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أفبالباطل يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } (النحل / ٧٠) كما أكّد تعالى هذه الحقيقة بقوله عزَّ وجلَّ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (النساء / ١) ومن كل ذلك وغيره تتكون الأُسر ولذا أُعتبرت الأسرة اللَبنة الأولى و الأساس لبناء المجتمع. وهذا هو أحد الشواهد القرآنية على اجتماعية الانسان ومدنية طبعه، والروايات المروية عن الحجج الالهيين عليهم السلام والمفسرة لهذه الايات تؤكد هذا المدعى.

والدليل القرآني الآخرعلى أن الانسان اجتماعي الانتماء ومدني الطبع هو قوله تعالى: { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (الزخرف / ٣٢)

ومآل هذه النصوص القرآنية يؤول إلى هذه النتيجة وهي أنَّ : مفاد قوله تعالى: { ورفعنا بعضهم فوق بعض} هو التعبير الآخر عن الفقرة من الآية وهي قوله جلَّ وعلى: {نحن قسمنا بينهم معيشتهم} و يبين أن تقسيم المعيشة بينهم ببيان علل انقسامها في المجتمع الإنساني، وأن كثرة حوائج الإنسان في حياته الدنيا بحيث لا يقدر على رفع جميعها في عيش انفرادي أحوجته إلى الاجتماع مع غيره من الأفراد على طريق الاستخدام و الاستدرار أولا وعلى طريق التعاون و التعاضد ثانيا. (الطباطبائي، ١٤٠٥) وهذا شاهد واضح على اجتماعية الحياة البشرية. فآل الأمر إلى المعاوضة العامة المفيدة لنوع من الاختصاص بأن يعطي كلٌ مما عنده من حوائج الحياة ما يفضل من حاجته و يأخذ به من الغير ما يعادله مما يحتاج إليه فيعطي مثلا ما يفضل من حاجته من الماء الذي عنده و قد حصله و اختص به و يأخذ من غيره ما يزيد على قوته من الغذاء، و لازم ذلك أن يسعى كل فرد بما يستعد له و يحسنه من السعي فيقتني مما يحتاج إليه ما يختص به، و لازم ذلك أن يحتاج غيره إليه فيما عنده من متاع الحياة فيتسخر له فيفيده ما يحتاج إليه كالخباز يحتاج إلى ما عند السقاء من الماء و بالعكس فيتعاونان بالمعاوضة و كالمخدوم يتسخر للخادم لخدمته و الخادم يتسخر للمخدوم لماله و هكذا فكل بعض من المجتمع مسخر لآخرين بما عنده و الآخرون متسخرون له بلا واسطة أو بواسطة أو وسائط لما أن كلا يرتفع على غيره بما يختص به مما عنده بدرجات مختلفة باختلاف تعلق الهمم و القصود به. (الطباطبائي ، ١٤٠٥)

ومن الأدلة على أن الانسان مدني الطبع واجتماعي الانتماء هو أن الانسان متكامل وفي طور التطور، هذا الموجود المميز لا يمكنه أن يبقى في مرحلة واحدة وراكدة كما في الحيوانات إذ لايتصور التطور والتكامل فيها، والتطور والتقدم التكامل في الانسان لا يتحقق إلا في ضمن كونه في جماعة يحتك بهم ويتسابق معهم نحو الكمال والرقي لأن الحياة الفردية ذات النسق الواحد لا تنتج التكامل والتطور.

٤ - القرآن الكريم يبني الفرد والمجتمع

من الواضح أن القرآن الكريم كما اهتمَّ ببناء الإنسان الفرد، اهتم كثيراً ببناء المجتمع الانساني السليم. وعند التأمل في كتاب الله العزيز نجد الكثير من الخطابات القرآنية التي وجهّها الله تعالى للمجتمع،

وفي هذه الخطابات كان الهدف هو بناء مجتمع انساني صالح ينطلق في حياته وتعامل أفراده على مبدأ الحق والحفاظ على الفضائل والقيَم. والشواهد على خطابات القرآن للجماعة كثيرة، فتارة دعى الله المجتمع إلى المسارعة إلى الخير حيث قال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمرن / ١٣٣) وتارة أخرى أمرهم بالتسابق نحو الخيرات، قال سبحانه وتعالى: { وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (البقرة/١٤٨) وكذك دعى جلَّ وعلى إلى التسابق إلى الخير من خلال الآية ٤٨ من سورة المائدة إذ قال تعالى: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) ومن الواضح أن المسارعة والتسابق إنّما يتحققان من خلال الجماعة المجتمعة.

وقد تنوعت تعبيرات القرآن الكريم عن المجتمع فتارة عبَّر القرآن عن الجماعة بالأمة حيث قال تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران / ١٠٤) وحينما ذكر آجال الأمم قال تعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} (الأعراف / ٣٤)

٥. أهم أسس المجتمع السليم في القرآن الكريم

من خلال المراجعة للقرآن الكريم والـتأمل والتدبر في آياته نجد الكثير من الآيات التي تهتم ببناء المجتمع السليم وتؤسس لتشييد دعائمه. وهذه الأصول والأُسس التي ذكرها الله تعالى للمجتمع الصالح بعضها عامة لكل المجتمعات البشرية في كل مراحل الحياة، وبعضها خاص بالمجتمع الاسلامي المعبر عنه بخير أمة. وفيما يلي نشير إلى أهم أسس المجتمع السليم من وجهة نظر القرآن الكريم:

٥-١. الحاجة إلى الدين

من أهم الأمور التي يتوقف عليها بناء المجتمع الانساني السليم، هو حاكمية الدين وادارته لشؤون حياة المجتمع، وقد صرّح القرآن الكريم بأن الحياة البشرية من بدايات مراحلها الاجتماعية، أمدّها الله تعالى ـ بمقتضى حكمته ورحمته بالعباد وعلى ضوء نظام لطفه سبحانه ـ أمدّها بإنزال الشرائع

الالهية عبر النبيين مدعومين بالكتاب ليحكمهم ويربطوهم بالآخرة عبر التذكير بالثواب والعقاب والجنة والنار. يُستفاد كل ذلك من الآية ٢١٣ من سورة البقرة، قال الله تعالى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (البقرة / ٢١٣) وقد روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية أن الأمة الواحدة التي كانوا عليها هي فطرة الخلقة الأولية لا مهتدين ولا ضلالاً وذلك قبل أن يصبحوا مجتمعات وجماعات ويحتك بعضهم ببعض وتتنازع مصالحهم ويتناحرون فيما بينهم، ففي الخير المروي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام: > كَانُوا قَبْلَ نُوحٍ (عليه السلام) أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى فِطْرَةِ اللَّهِ لَا مُهْتَدين وَ لَا ضُلَّالا< (المجلسي، بحارالأنوار، ج١١، ص١٠) و (سيد هاشم البحراني ، البرهان، في تفسير الآية)

قال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان: > وروى أصحابنا عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضُلاَلاً فبعث الله النبيين وعلى هذا فالمعنى أنهم كانوا متعبدين بما في عقولـهم غير مهتدين إلى نبوة ولا شريعة ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم أن مصالحهم فيها فبعث الله أي أرسل الله النبيين { مبشرين } لمن أطاعهم بالجنة { ومنذرين } لمن عصاهم بالنار { وأنزل معهم الكتاب } أي أنزل مع كل واحد منهم الكتاب< (الطبرسي، مجمع البيان ١٤٢٠)

وقال الشيخ البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل: > { كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وٰحِدَةً } متفقين على الحق فيما بين آدم وإدريس أو نوح أو بعد الطوفان، أو متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس أو نوح. { فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيّينَ مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ } أي فاختلفوا فبعث الله، وإنما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه< (البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، في تفسير الآية)

وقال السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الآية المباركة: < الآية تبين السبب في تشريع أصل الدين وتكليف النوع الإنساني به، وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان: أن الإنسان – وهو نوع مفطور على الاجتماع والتعاون – كان في أول اجتماعه أمة واحدة، ثم ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في اقتناء المزايا الحيوية، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة، والمشاجرات في لوازم الحياة فألبست القوانين الموضوعة لباس الدين، وشفّعت بالتبشير والإنذار: بالثواب والعقاب، وأُصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النبيين، وإرسال المرسلين، ثم اختلفوا في معارف الدين أو

أُمور المبدأ والمعاد، فاختل بذلك أمر الوحدة الدينية، وظهرت الشعوب والأحزاب، وتبع ذلك الاختلاف في غيره، ولم يكن هذا الاختلاف الثاني إلا بغياً من الذين أوتوا الكتاب، وظلماً وعتواً منهم بعد ما تبيّن لهم أُصوله ومعارفه، وتمت عليهم الحجة، فالاختلاف اختلافان: اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين دون فطرتهم وغريزتهم، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين، ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق المختلف فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. فالدين الإلهي هو السبب الوحيد لسعادة هذا النوع الإنساني، والمصلح لأمر حياته، يصلح الفطرة بالفطرة ويعدل قواها المختلفة عند طغيانها، وينظم للإنسان سلك حياته الدنيوية والأخروية، والمادية والمعنوية، فهذا إجمال تاريخ حياة هذا النوع (الحياة الاجتماعية والدينية) على ما تعطيه هذه الآية الشريفة.< (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،عند تفسير الآية)

ومن كل هذه الشواهد التي تقدمت يظهر جليّاً: أن البشر بعد أن انتقلوا من مرحلة الحياة الفطرية البدائية، وأصبحوا جماعات محتكين ببعضهم حصل الاختلاف بينهم، فاقتضت الحكمة الالهية ولطفه ورحمته بالعباد أن ينزل عليهم الشرائع ويمدهم بالأنبياء مدعومين بالتعاليم السماوية ومشفوعة دعوتهم بالتبشير والإنذار، حتى يحكم الكتاب (الدين) الإلهي المجتمع البشري. ومن هنا نعرف أن الحاجة إلى الدين من أسس المجتمع.

٥-٢. أصولٌ أخرى للمجتمع السليم

لقد وضع القرآن الكريم أُسساً عامة في علاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكلِّ طرف حقوقه وواجباته للنهوض من أجل إتمام مكارم الأخلاق وإشاعة الحبّ والوئام في ربوع المجتمع الإنساني، وفيما يأتي نستعرض جملة من حقوق المجتمع على الفرد والأُسرة، وهذه الحقوق هي بنفس الوقت هي أصول وأسس المجتمع السليم:

ـ التعاون على البرّ والتقوى، لا الإثم والعدوان: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة /٢)

ـ الإحسان: أمر القرآن الكريم بالإحسان إلى أفراد المجتمع: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء /٣٦)

ـ النصرة: أقرّ القرآن الحكيم وأكدّ على حقّ النصرة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال / ٧٢)

ـ الوحدة: وأمر بالاعتصام بحبل الله: وقد حفل كتابُ اللَّه العزيز ـ وهو الكتاب السماوي للأمة الإسلامية جميعاً، ويمثِّل أحد أبرز المعالم المشتركة بين المدرستين الإسلاميتين العظيمتين: الشيعة والسنة ـ حفل بالدعوة إلى الوحدة بين كافّة مؤلفات الأمة الإسلامية، بجميع توجّهاتها وانتماءاتها، وشيَّد هذا الكتاب المعجز والمعصوم سبلَ توحيد صفوفها .

وقد تصدّى القرآن الكريم لترسيخ قواعد الوحدة بين ابناء الأمة الإسلامية بشتّى الطرق، فتارةً من خلال الآيات الداعية إلى الوحدة والمؤكدة عليها والآمرة بها، وتارةً أخرى من خلال الآيات الواردة في ذمِّ التفرقة وتحريم التشرذم، وثالثةً إلى تشييد مفاهيم تشير إلى ضرورة تحقيق الوحدة بين مكونات وعناصر المجتمع الإسلامي والتي تعدُّ أساساً ومباني لوحدة المجتمع الإسلامي، كالأخوة وحرمة الآخر والثقة المتبادلة، والنهوض بقضاء حوائج الآخرين، وكذلك آيات أخرى تتضمن الدعوة إلى تشكيل مجتمع تكون الوحدة أبرز معالمه .

ومن الشواهد على النوع الأول من الهداية القرآنية للوحدة والتأكيد عليها والأمر بها، قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران / ١٠٣)

والشاهد على الأسلوب الثاني للقرآن الكريم في ترسيخ أواصر الوحدة الإسلامية وهي الآيات الواردة في ذمِّ التفرقة وتحريم التشرذم، قوله تعالى: {وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ} وكذلك قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (الأنفال / ٤٦)

كما أنَّ الشاهد من القرآن الكريم على الأسلوب الثالث قوله جلَّ وعلا: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة / ٧١)

ـ الإصلاح: وأمر بالسعي للإصلاح: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون)٩.

ـ العفو: وأمر بالعفو والمسامحة: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف/١٩٩)

ـ الوفاء بالعقود والعهود والالتزامات: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ) (المائدة /١) وقال تعالى: { وأفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا} (الإسراء / ٣٤)

ـ أداء الأمانة: وأمر بأداء الأمانة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء / ٥٨)

ـ التكافل والتواصي: وأمر بأداء حقّ الفقراء والمساكين وابن السبيل وعدم تبديد الثروة بالتبذير والإسراف: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) وأمر بالتواصي بالحقّ (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر/ ٢و٣)

ـ حفظ الحرمات: وحرّم الدخول إلى بيوت الآخرين دون إذن منهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَ).

ـ النهي عن كل ما يفسد الأواصر الاجتماعية: فنهى القرآن الكريم عن الاعتداء على الآخرين، بالظلم والقتل وغصب الأموال والممتلكات والاعتداء على الأعراض: (وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

ـ ونهى عن بخس الناس حقوقهم: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)

ـ وحرّم ما يؤدّي إلى قطع الأواصر الاجتماعية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ)

ـ وحرّم الظن الآثم والتجسّس على الناس واغتيابهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا)

ـ وحرّم إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

وهكذا يوفِّر القرآن في هذه اللائحة الطويلة، ما يضمن توفير الحصانة للمجتمع البشري، وهو يضع النظام الدقيق والشامل، من أحكام وقيم أخلاقية، ليكون الأمان والتآلف والتعايش والتكافل معالم أصيلة في الحياة الاجتماعية.

٣-٥. أصل الإدارة الصالحة

من أصول وأسس المجتمع السليم هو: أن يتمتع المجتمع بادارة صالحة وكفوءة، تأخذ بالمجتمع إلى حاكمية القيَم التي هو يؤمن بها ويريد أن يبني حياته الاجتماعية على أساسها. ولولا ذلك لم يصلح المجتمع البشري.

وتتبع الحاجة لإدارة المجتمع من ضرورة نقله أو إعادته من مجتمع (الإنحراف) إلى مجتمع (الفطرة)، أو من مجتمع (التحلُّل) إلى مجتمع (القِيَم)، ومن مجتمع (النزاعات) إلى مجتمع الوحدة والإئتلاف . وفي هذه المحطة من الدراسة نتناول أسس وركائز بناء الدولة التي تقود المجتمع الصالح، أو بمعنى أدق تقود المجتمع إلى الصلاح، ثمّ تعمل على حفاظه على ما تحقّق من ذلك ليستقيم المجتمع على خطِّ الإصلاح، وعبر عدد من المحاور:

١- القائد الربّاني أو (القيادة الصالحة): نعني بالقائد الرَّبّاني كلّ مَن حمل رسالة السماء ليدعو الناس إلى الأخذ بها سواء كان نبيّاً، وهو أعلى درجات القيادة الرَّبّانية، أو أي مستوى قيادي آخر يندرج تحتها. قال تعالى: (يا داودُ إنّا جَعَلناكَ خَليفةً في الأرضِ فَاحكُم بَينَ النّاسِ بِالحقِّ وَلا تَتَّبِع الهَوَى فَيَضِلَّكَ عَن سَبيلِ اللهِ) (ص/ ٢٦). أرادت السماء لقادة الأرض الربّانيِّين الصالحين المُصلحين أن يتوفّروا على عدد من الشروط، أهمّها: أ) القيادة الصالحة هادية وليست استبدادية: قال تعالى مخاطباً النبي (ص): (فَذَكِّر إنّما أنتَ مُذَكِّر * لَستَ عَلَيهِم بِمُسَيطر) (الغاشية/ ٢١-٢٢). وقال عزّوجل: (وَما أنتَ بِجَبّارٍ فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعِيدِ) (ق/ ٤٥). فليس للقيادة - في المنظور الإصلاحي للقيادة - أن تستخدم القوّة لإكراه وإجبار وإخضاع الناس لما يجب أن يخضع له العقل أوّلاً، فقد تنقاد الأجساد ولكن أنّى وكيف للنفوس والعقول من أن تنقاد؟ ولذلك فالقائد النبوي - وهو هنا رمز لكلِّ قائدٍ إسلاميّ يرمي لبناء المجتمع الصالح - مديرٌ لمجتمعه لا بالوعظ والإرشاد فقط، بل بما يحمل من سمات القيادة الناجحة التي تحسن فنّ التعامل مع شؤون الحياة، وليس له أن يكون قاهراً متسلِّطاً مستبداً ومتوسلاً بالعُنف وصولاً إلى مُبتغاه. ب) القيادة الصالحة مُعلّمة: قال تعالى: (هُوَ الذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهُم يَتلُو عَلَيهِم آياتِهِ ويُزَكِّيهِم ويُعَلِّمَهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وإن كانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلالٍ مُبين) (الجمعة/ ٢). - دور القيادة الصالحة مزودج أو مركّب (تعليمي) (تربوي) (عملي)، ففي التعليمي يُقدِّم لمجتمعه المنهج والدستور، وفي التربوي يُطهِّر قلوبهم ونفوسهم من لوثات الهوى والشيطان والتعلُّق المريض بالدنيا، وفي العملي يُعلِّمهم كيف يعملون باختصاصات مختلفة وكيف يتقن كل واحد عمله، وكيف يتكامل كل عمل مع الآخر، حتى لا يكون عمل في عرض عمل، بل

كلّها في طول بعضها. ت) القيادة الصالحة قدوة حسنة: قال تعالى: (لَقَد كانَ لَكُم في رَسُولِ اللهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كانَ يَرجُو اللهَ وَاليَومَ الآخِرَ وذَكَرَ اللهَ كَثِيراً) (الأحزاب/ ٢١). - القيادة الصالحة ليست قيادة موجّهة فقط، هي قيادة أو موقع يُمثِّل المَثَل الأعلى الذي يرى المجتمع الصالح في صلاحه أسوة حسنة، فيقتدي به في إخلاصه وشجاعته وجهاده وصبره وسلوكه، فلا تكون كلماته مجرّد خطابات يلقيها على شعبه، بل هي منارات يستنير بها لأنّه يرى أنّ قيادته في مستوى شعاراتها. قال عزّوجل: (وَجَعَلناهُم أئمّةً يَهدُونَ بِأمرِنا وَأوحَينا إليهِم فِعلَ الخَيرَاتِ وإقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاةِ وكانوا لَنا عابِدِين) (الأنبياء/ ٧٣). ث) القيادة الصالحة جادّة حازمة: قال تعالى: (يا يَحيَى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ) (مريم/ ١٢). - أخذ الكتاب بقوّة، رمز لكلِّ الجدِّية والحزم والعزم الذي يجب أن تتحلّى به القيادة الصالحة، فأوّل المُطبّقين للرسالة أو المنهج هم حملته والمُبشِّرون به، وإلا لو كان القادة الربّانيون سعاة بريد - كما يصفهم البعض - لانتهى دورهم (بإيصال) الرسالة، ولكن دراسة حياتهم تكشف عن أنّهم كانوا (مُجسِّدين) لمفاهيم الرسالة، أي أنّهم رسالة ناطقة، أو تمشي على قديم، ثمّ لا يكتفوا بأن يكونوا سادة مجتمعاتهم، بل يعملون - بما أوتوا من قوّة - لأن يأخذوا بأيدي مجتمعاتهم لتكون صالحة مُصلحة، ولا شكّ أنّ انضباط القائد بتعاليم رسالته مدعاة لإنضباط مجتمعه بها تنفيذاً وتطبيقاً. ج) القيادة الصالحة مثابرة: قال تعالى عن قيادة نوح (ع) لمجتمعه وعلى لسانه: (قال رَبِّ إنِّي دَعَوتُ قَومي لَيلاً ونَهاراً * فَلَم يَزِدهُم دُعائي إلا فِرَاراً * وإنِّي كُلَّما دَعَوتُهُم لِتَغفِرَ لَهُم جَعَلُوا أصابِعَهُم في آذانِهِم واستَغشَوا ثِيابَهُم وأصَرُّوا واستَكبَروا استِكباراً * ثمّ إنِّي دَعَوتُهُم جِهاراً * ثمّ إنِّي أعلَنتُ لَهُم وأسرَرتُ لَهُم إسراراً) (نوح/ ٥-٩). - نوح (ع) مَثَل للقيادة الإيمانية الصالحة التي تبذل غاية الجهد في سبيل نهضة ورفعة مجتمعاتها من غير فتور ولا توان، إنّه العمل في الظروف الصعبة والعصيبة وغير المواتية لتكون مثابرة القيادة بحدِّ ذاتها - وبقطع النظر عن النتائج الإيجابية المجتناة منها - مثلاً في الصِّدق والصبر والإخلاص وتحريك الهمم الراكدة. ٢- اختيار المجتمع لقيادته الصالحة: قال تعالى: (إنّ الذينَ يُبَايِعونَكَ إنّما يُبايِعُونَ اللهَ) (الفتح/ ١٠). - يقول الإمام علي (ع): "الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمينأن لا يعملوا عملاً ولا يُقدِّموا يداً ولا رجلاً، قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً - قائداً - : عفيفاً، عالماً، ورعاً، عارفاً بالقضاء والسنّة، يجبي فيئهم، ويقيم حجّهم وجمعتهم، ويجبي صدقاتهم". والنصّ العلويّ لا يُحدِّد المهام، بل يرسم معالمها الأساسية وخطوطها الرئيسية، أي لابدّ للأمّة من أن يكون لها الدور الأوّل والأبرز في اختيار قادتها الميدانيين في موقع الحكومة أو أدنى من ذلك، حتى لا يستأثر حاكم بمال الناس فيجعله (دولة) بينه وبين أقربائه وحاشيته، ولا يستبدّ بالناس

فيجعلهم (خولاً) أي عبيداً مسخّرين لنزواته وأهوائه وحماقاته. إنّ للأمّة الولاية على نفسها في عصر غياب القائد المعصوم، وما لم تكن لها الكلمة الأولى في اختيار قادتها ومراقبتهم ومحاسبتهم، واستبدالهم إن لم يُصلحوا شأنهم، صدق عليها "كيفما تكونوا يُولَّ عليكم". ٣- الإنقياد والطاعة للقيادة الصالحة: قال تعالى: (ما آتاكُم الرسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُم عنهُ فانتَهوا) (الحشر/ ٧). وقال سبحانه: (فَلمّا فَصَلَ طالوتُ بالجُنُودِ قالَ إنّ اللهَ مُبتَلِيكُم بِنَهرٍ فَمَن شَرِبَ مِنهُ فَلَيسَ مِنِّي ومَن لَم يُطعَمهُ فإنّهُ مِنِّي) (البقرة/ ٢٤٩). - إتّباع أمر القيادة الصالحة ليس أمراً مزاجياً خاضعاً لأهواء المجتمع أو بعض شرائحه، ذلك أنّ ما يُفسد على القيادة أمرها هو عصيان أو تمرّد أو رفض أتباعها لأوامرها التي لا تُمثّل إملاءات فوقيّة بقدر ما هي إجراءات لتحقيق المصلحة العليا. فنسبة (طالوت) للمطيعين إليه، ونفي ذلك عن العاصين، ليست نسبة ذاتية، بل هي نسبة للخط والمنهج، وهي تشخيص عمليّ لمدى النصرة والولاء وحقيقة الإنتماء. قال تعالى مخاطباً موسى وهارون (ع): (أنتُما ومَنِ اتَّبَعَكُما الغالِبُون) (القصص/ ٣٥). ٤- إختيار الوزراء الصالحين (الإدارة الصالحة): قال تعالى على لسان موسى (ع): (وَاجعَل لِي وزيراً مِن أهلي * هارُونَ أخِي * اشدُدْ بِهِ أزرِي * وأشرِكهُ في أمرِي) (طه/ ٢٩-٣٢). - إختيار القيادة الصالحة لشركائها في الأمر أو معاونيها في مهامها الجسيمة من عناصر مقرّبة، لا ينشأ من رغبة ذاتية لحصر الحكم في الأسرة الحاكمة، بل من تقدير مخلص لمن يُشاطر في (الهمّ) ويُشارك في (المهمّة). يقول تعالى: (وإذِ ابتَلى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلماتٍ فأتَمَّهُنَّ قالَ إنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً قالَ ومِن ذُرِّيّتي قالَ لا يَنالُ عَهدِي الظالمين) (البقرة/ ١٢٤). غير أنّ اختيار العناصر الصالحة لتكون الأذرع المتحرِّكة للقيادة الصالحة لا يعفي تلك العناصر من الرقابة والتفقد والمساءلة والمحاسبة، فلقد حاسب موسى (ع) أخاه هارون (ع) بعد عودته من الميقات حينما رأى انقلاب بني إسرائيل على أصل التوحيد. يقول الإمام علي (ع) في عهده لمالك الأشتر: "ثمّ انظر في أمور عُمّالك، فاستعملهم اختباراً، ولا تولِّهم محاباة وأثرة، فإنّهما جماع من شُعب الجور والخيانة، وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقِدَم في الإسلام المتقدِّمة، فإنّهم أكرم أخلاقاً، وأصحّ أعراضاً، وأقلّ في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثمّ اسبغ عليهم الأرزاق، فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك، ثمّ تفقّد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصِّدق والوفاء عليهم، فإنّ تعاهدك في السِّرِّ لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرِّفق بالرّعيّة" (نهج البلاغة، كتاب الإمام علي (ع) لمالك الأشتر). قال تعالى: (وَما كُنتُ مُتّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُداً) (الكهف/ ٥١). إنّ اختيار

ملك مصر ليوسف (ع) وزيراً للمالية، كان بناءً على هذا الأساس: الكفاءة + النزاهة. ٥- مبدأ الشورىفي الحكم: قال تعالى على لسان بلقيس ملكة سبأ في الإجتماع الوزاريّ والإداريّ الذي دعت إليه بشأن رسالة سليمان (ع): (قالَت يا أيُّها المَلأُ أفتُوني في أمرِي ما كُنتُ قاطِعَةً أمراً حتّى تَشهَدُون * قالوا نَحنُ أُولُو قُوَّةٍ وأُولُو بَأسٍ شَديدٍ والأمرُ إليكِ فَانظُري مَاذا تَأمُرِين * قالَت إنّ المُلُوكَ إذا دَخَلوا قَريَةً أفسَدُوها وجَعَلوا أعِزَّةَ أهلِها أذِلَّةً وكَذلكَ يَفعَلون * وإنِّي مُرسِلَةٌ إليهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرجِعُ المُرسَلُون) (النمل/ ٣٢-٣٥). - لم تقضِ (بلقيس) بدون استشارة الطاقم المَلَكي، أو كابينة الحكومة كما يُصطلح عليها اليوم، ولم تستدعِ أصحاب الحلّ والعقد لمجرّد الإستئناس بالرأي ثمّ تجري ما يحلو لها حتى وإن خالف رأي المجموع، بل دَعَت لإجتماعٍ طارئٍ لقضيةٍ ساخنةٍ ومصيريةٍ ومفصليةٍ رأت أنّ عقول العقلاء لابدّ أن تشترك للبتّ فيها. وحين أوكل رجالات الدولة وجنرالات المملكة الأمر إلى الملكة، لم يكونوا يريدون التخفيف من العبء والتنصُّل عن المسؤولية، أو مجاملة الملكة، بل كانوا يراعون الإختصاص والخبرة، ولو أنّ اقتراح الملكة لم يكن منسجماً مع قناعات قادة الدولة أو المملكة، لأظهر لنا النصّ القرآني ذلك كما في حالات مماثلة في قوله (وتنازَعوا أمرَهُم).. لم يكن هناك تنازع في الأمر، كان هناك (مجلس شورى) برلماني يعمل وفقَ الأصول المرعيّة، ولربّما كانت هناك آراء مضادّة ومداولات ونقاشات حول (الرسالة) وحول طريقة الردّ عليها، لكن القرآن - على طريقته في اختصار التفاصيل - نقلَ لنا خلاصة ما جرى. ولا يتناقض مبدأ الشورى مع إيكال الأمر للقيادة الصالحة الحكيمة التي لا تتسرّع ولا تتهوّر، بل تضع مصلحة البلاد والعباد نصب عينيها لتُقرِّر ما تقدم عليه من خطوات سلبية أو إيجابية. يقول تعالى: (وَشاوِرهُم في الأمرِ فإذا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللهِ) (آل عمران/ ١٥٩). ٦- المسؤوليات الإدارية والتنفيذية: أ) توظيف طاقات الجماهير: قال تعالى عن ذي القرنين (ع): (قالوا يا ذا القَرنَينِ إنّ يَأجوجَ ومَأجُوجَ مُفسِدونَ في الأرضِ فَهَل نَجعَلُ لَكَ خَرْجاً على أن تَجعَلَ بَينَنا وَبَينَهم سَدّاً * قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيرٌ فَأعينُوني بِقوّةٍ أجعَل بَينَكُم وَبَينَهُم رَدماً * آتونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حتّى إذا ساوَى بَينَ الصَّدَفَينِ قالَ انفُخُوا حتّى إذا جَعَلَهُ نَاراً قالَ آتُونِي أُفرِغْ عَلَيهِ قِطراً) (الكهف/ ٩٤-٩٦). - كان يمكن لذي القرنين (ع)، بما آتاه الله من كلِّ شيءٍ سبباً، أن يقوم بمهمّة بناء السدّ بين الجبلين بدون الإستعانة بالذين طالبوه ببنائه، لكنه لم يرد لهم أن يُعطِّلوا طاقاتهم ويقفوا مُتفرِّجين ينظرون متى ينتهي بناء السد، كما لم يرد لهم أن يحصلوا على إنجاز بناء السد بغنيمة باردة وبدون تقدير حقيقي لقيمة الإنجاز، لذلك دفعَ بهم إلى إعانته بقوّة وأن يجلبوا له الحديد المطلوب لبناء السد، وأن ينفخوا في النار، وأن يُذيبوا النحاس إلى آخر ما هناك من خدمات

يحتاجها بناء السد تحت إشراف وتخطيط ومشاركة مهندس البناء (ذو القرنين). هذا المثل القرآني يمكن النظر إلى بعض تطبيقاته العملية من خلال توظيف الدولة لطاقات الجماهير بمختلف أنواعها ومستوياتها، حتى لا تكتفي بتقديم الإقتراحات وحتى لا تتكل على أجهزة الدولة فقط. ب) تحقيق مبدأ الحرّيّات: قال تعالى في بعض مهام النبي (ص): (ويَضَعُ عَنهُم إصرَهُم والأغلالَ التي كانَت عَلَيهِم) (الأعراف/ ١٥٧). - يقول الإمام علي (ع): "أمّا بعد، فإنّ الله بعث محمداً (ص) ليُخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته، ومن عهود عباده إلى عهوده، ومن طاعة عباده إلى طاعته، ومن ولاية عباده إلى ولايته" وقد يتلازم مبدأ الحرّيّات مع مفهوم الحقوق، حتى ليمكن القول أحياناً أنّ حرّيّة الإجتماع وتكوين الجمعيّات تعني حقّ إنشاء هذه وعقد ذاك (بضوابط) ولكن (بلا قيود). وسواء كان الحرّيّة سياسية أو فكرية أو إقتصادية أو إجتماعية، فقد كفلها الإسلام لأتباعه ضمن قواعده الشرعيّة المرعيّة، بما في ذلك حق أو حرّيّة التظلُّم والشكوى لرفع الحيف أو القيد الموضوع على أيّة حرّيّة من الحرّيّات التي يتم التجاوز عليها. ت) تحقيق مبدأ المساواة: قال تعالى: (إنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وأنثى وجَعَلناكُم شُعُوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفوا إنّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم) (الحجرات/ ١٣). - يتخذ مفهوم المساواة في الفهم الإسلامي مفهوم تكافؤ الفرص في التعاملات الإدارية اليوم، فحيثما تتساوى أو تتقارب المؤهّلات يجب الوقوف من الجميع على مسافة واحدة، ويبقى للتفاضل حسابه في ترجيح كفّة على أخرى. والقيادة الصالحة مسؤولة عن وضع الترتيبات اللازمة لتحقيق المساواة أمام القضاء والقانون، وفي إتاحة الفرص في العمل والتعليم والتوظيف والتصويت ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فليس في كتاب الله - كما سبق قول الإمام علي (ع) - فضل لأبناء إسماعيل على أبناء إسحاق. ث) التنمية الإقتصادية: قال تعالى: (ولَقَد مَكَّنَاهُم في الأرضِ وجَعَلنا لَكُم فِيها مَعايِش) (الأعراف/ ٩). - لا تتوقّف مسؤولية الحكومة الصالحة في القضاء على البطالة وتوفير فرص للعاملين فقط، بل تتسع وتمتد لتطوير أساليب الإنتاج، واستثمار غير المستثمر، فالإسلام الذي يقول أنّ مَن أحيا أرضاً مواتاً فهي له، هو إسلام تنموي، والإسلام الذي يُحرّم المكاسب غير المشروعة هو في الجانب الآخر يعدو ويدفع إلى الكسب المشروع فاتحاً الباب على مصراعيه، والإسلام الذي يرى أنّ الزكاة ليست لسدِّ حاجة الفقير الضرورية فحسب، بل لإعطائه المال بالقدر الذي يلحقه بالناس في مستواه المعيشي، دين تنموي، والإسلام الذي يرفض الإستعطاء والإستجداء ويحثّ ويُحمِّس على العمل، ويرى أنّ أفضل كسب الإنسان من كدِّ يده، والذي يدعو إلى ترشيد الإستهلاك ومنع الإدِّخار والإحتكار، ويُحذِّر من التبعيّة والإرتهان الإقتصادي، هو تنمويّ في جوهره،

ومسؤولية القيادة الصالحة أن تُترجم هذه (المعاني) إلى (معالم)، وهذه (الطاقات) إلى (مشاريع عمل)، وهذه (الروح) إلى سريان في الكيان الإسلامي كلّه. لقد أشار الشهيد السيِّد محمد باقر الصدر(ره) إلى مسؤوليات الدولة العامّة في (الضمان الإجتماي)، و(التوازن الإجتماعي)، و(رعاية القطاع العام)، و(الإشراف على حركة الإنتاج)، و(الحفاظ على القِيَم التبادلية)، ممّا يصبّ جميعه في هدف التنمية التي تُراعي أيضاً توفير مختلف الإختصاصات التي يحتاجها المجتمع انطلاقاً من مفهوم (الواجب الكفائي)، الذي يستوجب تغطية كل حاجات المجتمع بما لا يوجد شكوى أو تذمراً من انعدام في جمالٍ أو نقصٍ في آخر. يقول تعالى: (وأعِدُّوا لَهُم ما استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ) (الأنفال/ ٦٠). وهي كل قوّة ترتفع بالمجتمع الصالح إلى مصاف الدول الراقية إقتصادياً. ج) التربية والتعليم: قال تعالى: (هوَ الذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهُم يَتلُو عَلَيهِم آياتِهِ ويُزَكِّيهِم ويُعَلِّمَهُمُ الكِتابَ والحِكمَةَ وإن كانوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلالٍ مُبين) (الجمعة/ ٢). – لا تقتصر مهمّة القيادة الصالحة في مجال التعليم على مكافحة الأمّيّة وفرض التعليم الإجباري فقط، بل تضع التربية أولوية من بين أولوياتها بإشاعة الأخلاق الصالحة ليس في صفوف المدارس التعليمية، بل حتى من خلال وسائل الإعلام المتاحة، وتعريف أبناء المجتمع أصول شريعتهم وحلالهم وحرامهم، وتذكيرهم بمسؤولياتهم، واستخراج أنبل ما لديهم من نوازع الخير والبذل والإحسان، وظهور الجميع بمظهر العبيد لله تعالى. إنّ رفع مستوى العلم والتعلُّم والأدب والتربية في أيِّ مجتمع يعني رفعاً لمستوى الحياة والمسؤولية التعليمية في المجتمعات الصالحة تضامنية: أسرية، ومدرسية، وعلمائية، وإعلامية، فلم يأخذ الله على الجهّال أن يتعلّموا إلا بعد أن أخذ على العلماء أن يُعلِّموا. ومهمّة التربية ليست وعظية بحتة، بل هي مهمة مركّبة تهدف إلى نفي البدع وإيقاظ الأفكار التنويرية، ونشر اليقظة الإجتماعية للحدِّ من ظاهرة السذاجة الإجتماعية والتسطيح الفكري، والقابلية للإنخداع. ح) تفعيل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: (ولْتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إلى الخَيرِ ويأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَر) (آل عمران/ ١٠٤). – لبناء المجتمع الصالح ركيزتان: هدم الرديء والسيِّئ والضارّ والباطل والمعرقل، وبناء الجيِّد والنافع والحق والخيِّر والممهِّد لطرق الإصلاح، وهاتان الركيزتان تختزلهما وظيفتا النهي عن المنكر والأمر بالمعروف اللتان هما وظيفتان إجتماعيتان وليسا فرديتين.. وإن كان الفرد يلعب دوره في النهي هنا والأمر هناك، فدعوة القرآن الكريم إلى تشكيل الأمّة أو الجماعة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر من ذوي التقوى والورع والثقافة والصلاح والوعي الإجتماعي بما هو صالح وما هو ضار، هي دعوة تخصّصية يُراد للوظيفتين الجليلتين أن يُؤدِّيا

على أفضل وأكمل وأجمل وجه، ولذلك كان أحد أغراض التمكين في الأرض هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أنّ المجتمع أو الجماعة الممكّنة إنّما مُكّنت وقُيّض لها أن تحكم على أعقاب مجتمع فاسد لتعطي نموذجاً مغايراً عمّا كان، نموذجاً ينطلق بالصلاح ويستنكر الفساد. ولذلك فإنّ القيادة الصالحة مطالبة بوضع الآليات الكفيلة في أن تأخذ وظيفتا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيغهما المكتملة في الحفاظ على صلاح المجتمع ورفع درجته من جهة، وفي إزالة ما يؤذي الناس ويُقلقهم ويتهددهم في معيشتهم أو حرّيّتهم أو عبادتهم أو سلامة أرواحهم. خ) مراعاة المتابعة والتفقُّد والرقابة: قال تعالى عن النبي سليمان (ع): (وتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الهُدهُد أَمْ كانَ مِنَ الغائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أو لأذبَحَنَّهُ أو لَيَأتِيَنِي بِسُلطانٍ مُبِين) (النمل/ ٢٠-٢١). - مثل تفقّد سليمان (ع) للطير التي تعجبه في سفره، وغياب الهدهد واستنكاره لهذا الغياب بدون إذن، والتهديد بالعقاب، إلا أن يكون هناك عذر شرعي، يُفهم منه أهميّة تفقّد القائد الصالح لمن يتبعه من قادة آخرين يديرون شؤون المجتمع الصالح، ووضع العيون عليهم للرقابة ومحاسبة المُقصِّر، ومتابعة إجراءات التنفيذ لما يُتخذ من قرارات وتوصيات عبر قنوات خاصّة. يقول الشاعر: سنّ لنا سليمانُ سُنّةً وكانَ فينا سَنُّهُ مُقتدى تَفقّدَ الطيرَ على مُلكِهِ فقال ما لي لا أرى الهُدهُدا يقول الإمام علي (ع) في عهده لمالك الأشتر: "وابعث العيون من أهل الصِّدق والوفاء عليهم، فإنّ تعاهدكَ في السِّرِّ لأمورهم، حدوة لهم على استعمال الأمانة والرِّفق بالرعيّة" (نهج البلاغة، كتاب الإمام علي (ع) لمالك الأشتر). وهذا ما كان يفعله النبي (ص) والإمام علي (ع) في حكومتيهما. د) الإهتمام بالرأي العام: قال تعالى على لسان قوم إبراهيم (ع): (قالوا مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتنا إنّهُ لَمِنَ الظالِمِين * قالوا سَمِعنا فَتىً يَذكُرُهُم يُقالُ لَهُ إبراهِيم * قالوا فأْتوا بِهِ على أعيُنِ النّاسِ لّعلّهم يَشهَدون) (الأنبياء / ٥٩-٦١). وقال عزّوجل على لسان فرعون: (قالَ أجِئتَنا لِتُخرِجَنا مِن أرضِنا بِسِحرِكَ يا مُوسى * فَلَنأتِيَنَّكَ بِسِحرٍ مِثلِهِ فَاجعَل بَينَنا وبَينَكَ مَوعِداً لا نُخلِفُهُ نَحنُ وَلا أنتَ مَكاناً سُوىً * قالَ مَوعِدُكُم يَومُ الزِّينَةِ وأن يُحشَرَ النّاسُ ضُحىً * فَتَوَلّى فِرعَونُ فَجَمَعَ كَيدَهُ ثمّ أتَى) (طه/ ٥٧-٦٠). - يرادُ بالرأي العام انطباع المجتمع بصفة عامّة عن قضيةٍ معيّنة، ومن خلال ذلك يُقال اتّجاهه هل هو (مع) أو (ضدّ). ففي الآية الأولى نرى قوم (نمرود) وهم المجتمع الذي كان يحيا فيه إبراهيم (ع) في فتوّته، يناهضونه لما عمل بأصنامهم، فيدعو النمرود إلى اجتماع الناس وأن يُحاكَم إبراهيم على مرأى منهم، أي محاكمة علنيّة لتكون عقوبته عبرةً لمن اعتبر، وهذا لون من تأليب الرأي العام ضدّه. ومثله دعوة فرعون قومه للإجتماع في عيد الزينة وقت الضحى، ليشهدوا - في ظنّه ووهمه - انتصار سحرته على سحر موسى (ع)، في محاولةٍ لتحطيمه

معنوياً أمام الرأي العام. والرأي العام في المجتمع الصالح يمكن أن يوظّف إيجابياً لمصلحةٍ عمومية وليس فقط في الضدِّ منه، كما في المذكّرات المرفوعة للمطالبة بإصلاح معيّن، أو لمناصرة موقف مشرِّف، وتلعب الإعتصامات والتظاهرات اليوم دور الممثل للرأي العام، كما تكشف استطلاعات الرأي والإستبيانات عن جوانب منه، ولابدّ لقادة المجتمع الصالح من أن يسمعوا نبض الشارع من خلال الرأي العام الذي يمثِّل شرائح واسعة من الشعب وليس بالضرورة كل الشعب، لأنّ تجاهله أو تغافله قد يؤدِّي إلى تفاقم الوضع ونقمة الناس. يقول الإمام علي (ع) لمالك الأشتر في عهده إليه: "وإن ظنّت الرعيّة بكَ حيفاً، فاصحر لهم بعذرك، واعدِل عنك ظنونهم بإصحارك، فإنّ في ذلك رياضةً منكَ لنفسِك، ورفقاً برعيّتكَ وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق" (المصدرالسابق).

٧- القضاء المستقل والعادل: قال تعالى: (يا أيُّها الذينَ آمَنوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَداءَ بِالقِسطِ وَلايَجرِمَنَّكُم شَنآنُ قَومٍ على ألا تَعدِلوا أعدِلوا هوَ أقرَبُ لِلتقوَى وَاتَّقوا اللهَ إنّ اللهَ خَبِيرٌ بما تَعمَلون) (المائدة/ ٨). - لا يعني كون مجتمع صالحاً أنّه في غنى عن المفاصلات القضائية والمرافعات الجنائية، فلقد سبقت الإشارة إلى أنّ صلاحية مجتمع تؤخذ بلحاظ الأكثرية، أو النسبة الغالبة لا بشكل مطلق. ولذلك كان دور القضاء لإستتباب الأمن، وتحقيق العدل، ورفع الظلامات، والدفاع عن الحقوق المهدورة أو المهضومة، دور الحكومة التي هي أعلى من السلطة الفعلية، أي إنّ إجراءات القضاء تسري على أعلى مسؤول في الدولة، وعلى أيّ إنسان مهما علا موقعه الإجتماعي، ولذلك نوديَ باستقلال القضاء استقلالاً تاماً وقايةً للعدل من أن تتلاعب به الأهواء أو تجرحه التدخلات في هذا الطرف أو ذاك، وصيانة الحقوق من أن تُنتهك ولا تجد مَن يستردّها أو يحفظها من أن تنالها المآرب والمناصب والمراتب. قال سبحانه: (يا أيُّها الذينَ آمَنوا كُونُوا قَوّامينَ بِالقِسطِ شُهَداءَ للهِ وَلَو على أنفُسِكُم أو الوَالِدَينِ والأقربِينَ إن يَكُن غَنيّاً أو فَقِيراً فَاللهُ أولى بِهِما فَلا تَتَّبِعوا الهَوَى أن تَعدِلوا وإن تَلْوُوا أو تُعرِضوا فإنّ اللهَ كانَ بِما تَعمَلون خَبِيراً) (النساء/ ١٣٥). إنّنا قد نجد حتى في المجتمع الصالح مَن يُفسد في الأرض ويقتل النفس التي حرّم الله، والسارق الذي لا يتورّع عن انتهاب أموال الناس، والمُضلِّل الذي يحرف عقول الناس، والزناة محصنين وغير محصنين، الأمر الذي يستدعي وجود قضاء عادل وحازم يؤاخذ المجرم بجريرته ولا يتطاول بها إلى غيره، كما يشير ضمناً أنّ المجتمع الصالح ليس هو المجتمع المعصوم، فالمجتمع المعصوم، أو الذي بلغَ درجةً عاليةً من التحصين الذاتي هو حلم الإنسانية المستقبلي.

والخلاصة: أن المجتمع لا يصبح سليما وصالحاً إلا بتمتعه بالقيادة الصالحة، وهي القيادة التي تتصف بهذه المواصفات المستمدة من كتاب الله العزيز وسيرة وحكم أولياءه عليهم الصلاة والسلام.

النتائج:

من خلال هذه المقالة توصلنا إلى النتائج التالية:

الأولى: إنَّ الإنسان مدني الطبع واجتماعي الانتماء، ويدل على ذلك طبيعة الانسان التكاملية وحالة تطوره المستمر وذلك لا يتحقق إلا في ضمن الجماعة والاجتماع.

الثانية: إن القرآن يُثبت عبر آيات عديدة أن الانسان اجتماعي الانتماء ومدني الطبع، ومن تلك الآيات، الآيات الدالة على خلق الانسان من ذكر وأنثى وحاجة كل واحد منهما إلى الآخر ليتزاوجا وتكون منهما ذرية وتكوين أسرة وعلى اثر ذلك يتكاثر المجتمع البشري ويتكون المجتمع.

الثالثة: يدل القرآن على اجتماعية الانسان من خلال بيان أن الانسان يُسخِّر بعضه بعضاً أي يستخدمه ليقضي به حوائجه وهذا يدل على العلاقة بين أفراد بني البشر لتيسير الأمور وقضاء الحاجات.

الرابعة: كما اهتم القرآن الكريم ببناء الفرد عقائدياً وفكرياً وسلوكياً، اهتم أيضاً ببناء المجتمع من عدة نواحي، فأنزل في كتابه العزيزالآيات التي تؤسس لبناء مجتمع انساني سليم تحكمه الفضائل والقَيم. وهذه الآيات هي منظومة الخطابات الاجتماعية في القرآن الكريم.

الخامسة: الأصول والأُسس التي ذكرها القرآن الكريم لبناء المجتمع السليم كثيرة، وأهمها: الوفاء بالعقود والعهود والالتزام بالمواثيق، أداء الأمانات، انتشار الصدق، انتشار ثقافة الثقة المتبادلة، التعاون على البر والتقوى، التواصي بالحق والصبر، حفظ حرمة الناس في حقوقهم، وأمثال ذلك من أُسس.

السادسة: من أهم أصول المجتمع الصالح هي حاجته إلى الدين وحاكمية التعاليم الوحانية فيه، دلذَ على ذلك بوضوح الآية ٢١٣ من سورة البقرة وقد بحثت بتفصيل في هذه المقالة.

السابعة: الأصل الآخر الأساسي في بناء المجتمع السليم هو: قيادة المجتمع بواسطة الإدارة الكفوءة، وهي الادارة التي ذكرت مواصفاتها من خلال القرآن ا وكلام وسيرة الحجج الالهيين عليهم صلوات الله أجمعين. وقد بحثت بالتفصيل من خلال المقطع الأخير من المقالة، وقد ركزت المقالة على هذا الأصل واعتبرته هو الأصل المركزي في دراستها.

مصادر البحث

القرآن الكريم
٢ – نهج البلاغة، خطب ورسائل وكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بجمع الشريف الرضي.
٣ – ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط. ط الرابعة. طهران. مؤسسة الصادق ١٤٢٩ هـ.
٤ – ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. بيروت. دار الفكر. ١٣٩٩ هـ.
٥ – الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار احياء التراث، بيروت ، ٢٠١ .
٦ – البيضاوي، عبداللّه. أنوار ، ط الأولى. بيروت. مؤسسة الأعلمي. ١٤١٠ هـ.
٧ – لجوهري، اسماعيل بن حماد. صحاح اللغة. (تحقيق: عبدالغفور) . بيروت. دار العلم للملايين. ٢٠١٠م.
٨ – الحكيم، محمد باقر علوم القرآن. ط الرابعة. قم. مجمع الفكر الإسلامي. ١٤١٩ هـ.
٩ – رضائي الاصفهاني، محمد علي، المناهج والاتّجاهات التفسيرية للقرآن. ط الأولى. قم. المركز العالمي
١٠ – السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن. ط الأولى. قم. مؤسسة الإمام الصادق ١٤٢٥ هـ.
١١ – عدي الحجار، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، ٢٠١٤
١٢ – الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية. ط الأولى. بيروت. دار التعارف. ١٤٠٩ هـ.
١٣– الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن. ط الأولى. قم. منشورات جماعة المدرسين. ١٤١٥هـ.
١٤– الطبرسي. الفضل بن الحسن. مجمع البيان في تفسير القرآن. ط الثانية. بيروت. دار المعرفة. ١٤٠٨ هـ
١٥– الفيومي، أحمد. المصباح المنير. ط الأولى. مؤسسة المختار. ١٤٢٩ هـ.

Sources

Holy Qurʾan

1. Nahj al-Balāgha
2. Al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, *Tahdhīb al-Lugha*, Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth, 2001.
3. Al-Bayḍāwī, ʿAbd Allāh, *Anwār*, first edition, Beirut: Muʾassasat al-Aʿlamī, 1410 AH.
4. Al-Ḥakīm, Muḥammad Bāqir, *ʿUlūm al-Qurʾān*, fourth edition, Qom: Majmaʿ al-Fikr al-Islāmī, 1419 AH.
5. Al-Jawharī, Ismāʿīl ibn Ḥammād, *Ṣiḥāḥ al-Lugha*, (Editor: ʿAbd al-Ghafūr), Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, 2010 CE.
6. Fayyūmī, Aḥmad, *Al-Miṣbāḥ al-Munīr*, first edition, Muʾassasat al-Mukhtār, 1429 AH.
7. Ibn Fāris, Aḥmad, *Muʿjam Maqāyīs al-Lugha*, Beirut: Dār al-Fikr, 1399 AH.
8. Ibrāhīm Muṣṭafā et al., *Al-Muʿjam al-Wasīṭ*, fifth edition, Tehran: Muʾassasat al-Ṣādiq, 1429 AH.
9. Rezaeī al-Isfahani, Muhammad ʿAlī, *Al-Manāhij wa al-Ittijāhāt al-Tafsīriyya li al-Qurʾān*, first edition, Qom: Al-Markaz al-ʿĀlamī.
10. Ṣadr, Muḥammad Bāqir, *Al-Madrasa al-Qurʾāniyya*, first edition, Beirut: Dār al-Taʿāruf, 1409 AH.
11. Subḥānī, Jaʿfar, *Mafāhīm al-Qurʾān*, first edition, Qom: Muʾassasat al-Imām al-Ṣādiq, 1425 AH.
12. Ṭabarsī, al-Faḍl ibn al-Ḥasan, *Majmaʿ al-Bayān fī Tafsīr al-Qurʾān*, second edition, Beirut: Dār al-Maʿrifa, 1408 AH.
13. Ṭabāṭabāʾī, Muḥammad Ḥusayn, *Al-Mīzān fī Tafsīr al-Qurʾān*, first edition, Qom: Jāmiʿat al-Mudarrisīn Publications, 1415 AH.
14. ʿUday al-Ḥajjār, *Al-Usus al-Manhajiyya fī Tafsīr al-Naṣṣ al-Qurʾānī*, 2014.